بَلَنسية مدينة الحدائق والجنان

محمد القاضي *

بَلَنسية لؤلؤة الشرق الأندلسي

تختلف مدينة بَلَنسية عن بقية المدن الإسبانية الأخرى وذلك بحكم موقعها المتميز على البحر الأبيض المتوسط والنهر الأبيض ويطلق على السهل الساحلي الذي تقع فيه (حديقة إسبانيا). ذكر ياقوت الحموي: أنها تعرف بمدينة التراب، والغالب على شجرها القراسيا ولا يخلو منه سهل ولا جبل.

أنشأها الرومان مثل غيرها من المعاقل والمراكز البحرية، فأطلقوا عليها اسم: VALENTIA . وفتحها العرب سنة 714م استوطنها القيسيون بعد ذلك رغم كثرة الجاليات البربرية التي أقامت في الجبال المجاورة لها. فحكموها في البداية باسم الخليفة بدمشق، ثم باسم الخليفة بقرطبة.

ارتبط تاريخها بشرق الأندلس، فأصبحت من أكبر العواصم التجارية والزراعية والعلمية أيام العرب وذلك لامتدادها فيما بين طراغونة شمالا ومورسيا جنوبا.

أشارت المصادر الجغرافية إلى ازدهار عمرانها في العصر الإسلامي وأشاد بذلك العديد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين فذكروا أنها مدينة عامرة ذات خطة فسيحة وأسواق وفيرة وعمارات وضياع وحصون كثيرة، ومساجد ومعاهد وفنادق وحمامات، وحدائق ومنتزهات جميلة ولاسيما المُنية والرصافة والتي تغنى بها شاعرها الكبير ابن خفاجة. أراضيها كانت وما تزال تنتج البرتقال والعنب والأرز والزيتون والخضروات. وصفها ابن سعيد نقلا عن المسهب بأنها مطيب الأندلس، ومطمح الأعين والأنفس، قد خصها الله بأحسن مكان، وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا مياها تتفرع، ولا تسمع إلا أطياراً تسجع ولا تستنشق إلا أزهاراً تنفح، وما أجلت لحظاً بها في شيء إلا قلتِ هذا أملح، ولها البحيرة التي تزيد في صفاء بَلَنسية صحو الشمس عليها. ويقال إن ضوء بَلَنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس، وجوها صقيل أبداً، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً. وحيث خرجت من جهاتها لا تلقى إلا منازه ومسارح.

وقال فيها شاعرها ابن غالب الرُّصافي:

بَلنسية تـلك الزبرجـدة التـي تسيـل عليهـا كل لؤلؤة نَهرا
كـأن عروسـاً أبـدع الله حسـنها فصيَّر من شرخ الشباب لها عمرا
هي الـدرة البيضاء من حيث جئتها أضـاءت ومـن للـدر أن يشبه البدرا

بَلَنسية والقدر المشؤوم

ترتبط بَلَنسية بتاريخ شرق الأندلس، فعندما تولى الأمويون أمر الأندلس كانت هذه الجهة واحِـدة من مملكتهم. وفي عهـد الخليفـة هشام المؤيـد قامت الفتنـة، فاسـتقل مجاهد العامري ببَلنسـية ونواحيهـا، وقـد تتابع عليها عـدد من موالي العـامريين مثـل مبارك ومظفر. يقول المؤرخ "ابن حيان" واصفا ما استحدثه هؤلاء في المدينة بحيث "اتخذوا البساتين الزاهرة والرياضـات الناضـرة، وأجروا خلالهـا المياه المتدفقـة، وسـلكا سبيـل الملوك الجبارين في إشادة البناء والقصور والتناهي في عليات الأمور، إلى أبعد الغايات ومنتهى النهايات، بما أبقيا شأنهما حـديثا لمن بعدهما، واشـتمل هذا الرأي أيضا على جميع أصـحابها ومن تعلق بهمـا من وزرائهمـا وكتابهمـا، فاحتـذوا فعلهمـا في تفخيم البنـاء. أمـا دُورُ الأغنيـاء فكانت تزدان بعجائب من غالي الأثاث".

لقـد رحـل إلى بَلَنسـية الناس من كل قطر بالأموال في هـذا العهـد، واستوطنها طائفة من جاليـة قرطبـة القلقـة الاسـتقرار فبنـوا بهـا المنـازل والقصور ونشـطت التجارة والزراعة والصـناعة، وتمتع أهلهـا برغـد العيش، ورخصت لـديهم أسـعار الحاجيـات. ولكن تجري الريـاح بمـا لا تشـتهي السـفن، فبمجرد ما توفي مبارك ثار السكان وأقصوا مظفر، وبايع العـامريون المنصـور عبـد العزيز بـن عبـد الرحمن فجـدد حصـونهـا، وأنشـأ بهـا "المُنية" الشـهيرة، التي اتخـذها منزلا لنزهـاته وحفلاته، والتي افتنَّ الأدباء والشعراء في وصفها، والتغني بمحاسـنها. وظـل المنصور عليها حتى وفاته بها سـنة 452هـ. وخلفه في رياستها ولده عبد الملك فانهمك في اللهو والمجون، فخلعه صـهره المأمون يحيى بن ذي النون ملك طليلة سـنة 457هـ، فأصـبحت تابعـة لإمـارته. فثـار بهـا أبـو بكر محمـد بـن عبد العزيز واسـتولى عليها إلى أن توفي سـنة 478هـ، وخلفه عليهـا ابنه أبـو عمرو عثمـان، فلم يزل مِلكـا عليهـا إلى أن سـلم القـادر بن ذي النون طليطلـة لألفونسو السـادس، فجاء القادر إلى بَلَنسية فدخلها قسراً بمساعدة ألفونسو سنة 478هـ وحكمها بقساوة، فثار عليه أهلها وبايعوا القاضـي ابن جحـاف الـذي أمر بقتـل القادر سـنة 485هـ، واسـتولى علِى قصره وذخائره النفيسـة، ولم يمض وقت طويل حتى حاصـر السيد القمبيطور مدينـة بَلنسـية أشد الحصار إلى أن دخلها سنة 488هـ. وقام بقتل ابن جحاف وأحرق جثته.

القمبيطور حاكم بلنسية ونهايته على يد المرابطين

اتخذ ريد ريغودياث المعروف بالسيد القمبيطور موقفا مشابها تجاه أهل بَلنسية قبل احتلاله لها حيث وعدهم بتنفيذ سياسة التسامح والعدل مقابل استسلام المدينة له، إلا أن هذه الوعود جاءت في ظروف صعبة تمت في إطار مفاوضات كان الهدف منها هو استسلام بَلنسية له. ويعكس النص التالي ظروف هذا الاستسلام الذي أورده صاحب "البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب" "لما بلغ بأهل بَلنسية الماء الزبى، وانتهوا من الصبر إلى الغاية القصوى، ولا نصر ولا غوث، ألجأتهم الحال إلى دخول العدو بحكم الاضطرار، لا بحكم الاختيار. فتجمعوا إلى قاضيهم أبي المطرف ابن جحاف، وسفروا إلى الطاغية القمبيطور -لعنه الله- من يتوسط لهم معه أخذ الأمان. فأجاب في هذا الشأن، وعقد نيته على الختر، ونقض العهد وأعطاه أمان مثله من الأجناس... وأمن الناس، وهو مع ذلك يراعي أمرهم يمنعهم من الخروج من المدينة، وحصل -لعنه الله- على هذه الحضرة، ورمى على ما هي عليه من النعمة والنضرة والحسن والبهجة". (الجزء الرابع / ص: 34).

فما كان أمام البلنسيين، والحالة هذه، سوى تسليم المدينة لذلك المغامر الذي لا يرحم، والذي كان كالوباء ينشر الخراب والدمار في المدن التي يحتلها، فزرع الرعب والموت في بَلنسية بعد احتلالها، ونكث العهود والمواثيق التي أخذها على نفسه من قبل، ونفرا من زعمائها ورجالاتها، ثم شرد قسما كبيرا من أبنائها ممن يشك في ولائهم، وقام بتحويل المسجد الجامع إلى كاتدرائية أطلق عليها اسم "سانتا ماريا" وعهد بإدارة أسقفية المدينة إلى راهب فرنسي يدعى "جيروم دي بيريجورد".

لقد نسجت الأساطير الكثيرة حول هذا المغامر فيما قام به من نشاط في احتلال بَلَنسية ثم استقلاله بها أعواما ووقوفه صامدا في وجه المرابطين حتى توفي مدافعا عنها، وذلك في سنة 1099م. وتمكن هؤلاء من استرجاعها إلى الحكم الإسلامي بقيادة القائد أبو محمد مزدلي الذي أصبح والياً عليها.

وفي أواخر المرابطين نشبت ثورات عدة في مدن الأندلس كان من بينها ثورة القاضي أبي مروان عبد الملك بن عبد العزيز في بَلنسية سنة 539هـ وانتهت بسيطرته على المنطقة الممتدة من بَلنسية إلى شاطبة إلى أن ثار عليه جنده سنة 540هـ.

واتفق أمر أهل بَلَنسية ومورسيا وجميع شرق الأندلس على تقديم رجل من أعيان الجند اسمه عبد الرحمن بن عياض كان النصارى يخافون منه كثيرا فأقام بشرق الأندلس يحفظها ويدافع عنها إلى أن مات سنة 541هـ. وقام بعده بأمر شرق الأندلس محمد بن سعيد بن مردنيش وكان خادماً لابن عياض.

بَلَنسية والحكم الموحدي

وعندما ظهرت دولة الموحدين بالمغرب وامتد سلطانها إلى الأندلس، اصطدم ابن مردنيش بالموحدين قرب غرناطة سنة 560هـ، فوقعت عليه الهزيمة وتحالف مع

النصارى. إلى أن مات سنة 567هـ. فدانت بلاد شرق الأندلس للخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدي، وقد أكرم الموحدون أبا بكر بن سفيان المخزومي بسبب ثورته على ابن مردنيش.

أما بنو مردنيش فقد أصبحوا بعد وفاة زعيمهم محمد بن سعد من أنصار الخليفة الموحدي وأصهاره، وتزوج الخليفة يوسف بن عبد المومن سنة 569هـ من صفية بنت محمد بن سعد بن مردنيش وأقام لها حفلا عظيما يليق بمكانة أسرتها. وتبعا لذلك أسند الخليفة الموحدي ولاية بَلَنسية وجهاتها إلى أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش وظل عليها إلى أن مات سنة 582هـ. وخلف جملة من الأبناء كانوا ولاة للموحدين على نواحي شرق الأندلس حتى نهاية الحكم الموحدي.

وبموت أبي يوسف يعقوب سنة 595هـ، أخذت دولة الموحدين بالاضمحلال والأفول، ولاسيما بعد موقعة "العقاب" سنة 609هـ التي سجلت هزيمة شنيعة للمسلمين، لم تقم لهم قائمة في بلاد الأندلس خاصة أيام أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الناصر (595هـ/610هـ) وتولى بعده ملوك ضعفاء لعبت بهم الأهواء، وتجاسرت عليهم العامة والرعاع من الرعية، فقد بلغ عدد من مَلك بعد الناصر إلى سقوط إشبيليا 646هـ سبعة ملوك. وعاشت البلاد في هذه المرحلة حالة رعب وتوجس واضطراب. فقامت في شرق الأندلس ثورات جديدة، أسفرت عن قيام المتوكل بن هود في مورسيا، وزيان بن مردنيش في بَلَنسية وهو من أحفاد ابن مردنيش الكبير، فاضطر الوالي الموحدي أبا زيد عبد الرحمن بن يعقوب إلى اللجوء إلى "أراجون"، وأصبح زيان بن أبي الحملات حاكما على المدينة ودعا فيها للخليفة العباسي ببغداد وذلك في سنة 626هـ. وفي أثناء ذلك كان ملك "أراجون" "خايمي الفاتح" يزحف بجيوشه جنوبا نحو أراضي الشرق، فخرج إليهم زيان ومعه جيش كبير فكانت عليهم الواقعة العظيمة التي خسر فيها المسلمون كثيرا والتي عرفت بوقعة أنيشة سنة 634هـ (1237م).

وأخذ خايمي يزحف نحو بَلَنسية فاستولى عليها سنة 636هـ بعد سنة من الحصار. وعند ذلك خرج زيان إلى جزيرة شُقْر القريبة من بَلَنسية وأقام بها وأعلن البيعة للأمير أبي زكريا الحفصي بتونس وبعث إليه الشاعر الكبير ابن الأبار القضاعي البلنسي الذي وصل تونس وأنشد قصيدته المشهورة:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا — إن السبيل إلى منجاتها دَرَسا

إلا أن أبا زكريا لم يكد يرسل نجداته حتى كانت بَلَنسية قد سقطت وتلاها بعد ذلك سقوط النواحي التابعة لها في شرق الأندلس، وخرج من المدينة قرابة خمسين ألف مسلم.

وسقطت بَلَنسية نهائيا

استسلم المسلمون في بَلَنسية إلى "خايمي الفاتح" بعد أن عقدوا معه معاهدة أقسم عليها

وتعهد بأن يصون حياة المسلمين وأموالهم، وأن يحترم حريتهم في ممارسة دينهم وعاداتهم ولِغتهم وقضائهم بحسب شريعتهم، وأن يمنح المسلمين في الجزء المتبقي بيدهم من مملكة بَلَنسية هدنة مدتها ثماني سنين؛ ولكنه لم يحترم عهده، وقرر بعد أن استثبت له الأمور أن يستولي على ما تبقى من المملكة فكان له ما أراد، ثم نقض العهد مرة أخرى، إذ حول بعض المساجد إلى كنائس أو إلى ملكيات تابعة لها. واستدعى أعدادا من المسيحيين ليستقروا في بَلَنسية وما حولها من المدن، في محاولة منه لترسيخ أقدام الفتح، فبدأ النصارى بإزعاج المسلمين وإساءة معاملتهم. كما قام "خايمي" بعزل العناصر الموجودة في بَلَنسية بعضها عن بعض وهم المسلمون والنصارى واليهود، بل جعل لكل عنصر حياً خاصا به. وانتقلت الملكيات العربية إلى أيدي الإسبان عن طريق الإقطاع والمصادرة وتحول العرب من ملاك إلى أُجراء لدى الملاك الجدد، وأصبحوا أقل من غيرهم من أفراد الشعب. ومع الظلم الذي سلط عليهم لجأوا إلى السلطة فلم تظهر أي اهتمام بشكاواهم فأدركوا أنه لا غنى لهم عن الاعتماد على أنفسهم والدفاع عن حقوقهم، ولما تزايد الضِعف عليهم من قبل الملك والحكومة والكنيسة والشعب اندلعتِ نيران ثورتهم الأولى في بَلَنسية عام 1254م بزعامة أمير إحدى المناطق التابعة لبَلَنسية وتسميه الروايات الإسبانية الأزرق أو (اليزرقي)، واستولى الثوار فورا على عدد من القلاع والحصون بين شاطبة ودانية وأليكانطي، وسيطروا على المناطق الجبلية جنوبي نهر "شَقْر"، وبقيت الثورة محصورة في هذه المنطقة بعض الوقت، ولكنها سرعان ما امتدت إلى جميع نواحي المملكة، واستمرت إلى نهاية عام 1257م، فقد اضطر الأزرق إلى مفاوضة الملك وتم الاتفاق على أن ينسحب الأزرق ولمن يريد من الثائرين إلى مملكة غرناطة. لبث العرب هادئين في مملكة بَلَنسية ثماني عشرة سنة بعد ثورتهم الأولى فظن الملك "خايمي" أن الأمور استثبت له، وبعد أن هدأت الأمور بدأ يشعر بثقل الوعد الذي قطعه للبابا بمحو العنصر العربي من مملكته، فرفع عنهم حماية الدولة وتركهم تحت رحمة الأشقياء الذين بدأوا يختطفونهم ويبيعونهم عبيداً في سوق النخاسة تحت سمع الدولة وبصرها، وهي لا تعارض ولا تستنكر تلك التصرفات. ولما يئس المسلمون من كل إنصاف قرروا الثورة من جديد وذلك في شهر مارس سنة 1276م، واحتل الثوار دفعة واحدة أربعين حصناً ومعقلا، وطلبوا النجدة من بني الأحمر بغرناطة، ولكنها لم تستمر أكثر من سنة واحدة فقد اضمحلت وتلاشت سنة 1277م.

وفي عام 1525م أثيرت مسألة تنصير مسلمي مملكة بَلَنسية بقرار من البابا "كليمينطي" السابع بأن يطردوا من أراضيهم أو يعتنقوا المسيحية, وفي عام 1534م أصدرت الأوامر بأن لا يخرج أحدٍ من مكانه، ومن خاف فعقوبته أن يبقى مملوكا لمن يلقي القبض عليه، مما دفع مسلمي بَلَنسية يعلنون الثورة منِ جديد إلى جانب إخوانهم في أراجون، واستمروا على هذه الحالة إلى أن سلم موريسكو بَلَنسية سلاحهم في سنة 1568م. وفي سنة 1587م تأسست جمعية للعمل على اتحاد الشعبين وتعليم النصارى الجدد (الموريسكيون المتنصرون) وافتتحت جلساتها يوم 13 أكتوبر من نفس السنة. وكانت مهمة الجمعية هي

العمل على اتحاد الشعبين والتبشير والتعليم للنصارى الجدد والموريسكيون بطرق عاطفية سلمية. ولكن هذه المناوراتِ وهذه المحاولات سواء من رجال الدين أو الحكومة كانت تذهب سدىً مع موريسكيي بَلَنسية، إلى أن جاء قرار الطرد النهائي سنة 1609م.

ذهب العرب وبقيت محكمة المياه

سقطت بَلَنسية، بسقوطها انتهى الوجود العربي في شرق الأندلس، وبدأت مطاردة المسلمين قتلاً وتشريدا وتنصيرا. فقد استطاع رجال الكنيسة أن يركزوا في أذهان مواطنيهم أن كل شر أصاب أو قد يصيب البلاد لم يأتها ولن يأتيها إلا على يد خصوم المسيحيين الكاثولكيين ولهذا وجب القضاء على المسلمين أينما وجدوا. وماذا كانت النتيجة إذن؟ حقيقة إن إسبانيا لم تجن من هذه الاضطهادات المخزية إلا الضرر والتخلف عن مسايرة الركب الحضاري والثقافي والصناعي الذي عرفته أوربا لأن المسلمينِ كانوا باعتراف جميع المؤرخين أحذق الصناع وأمهر الفلاحيين. فقد شق العرب أنهار بَلَنسية وحفروا ترعها وأجروا خلجانها وسيروا إليها الماء من جبال سييرا نيفادا حيث تجتمع الثلوج لمدة طويلة وبنوا القناطر الكثيرة لحجز المياه إلى المناطق العالية حتى أصبحت هذه البقعة جنة من الجنات.

وجعلوا للري تنظيما قانونيا ما يزال إلى اليوم مضرب الأمثال ومرجعا قيماِ للعلماء والبحاث المختصين في مختلف أقطار الأرض. إن بساتين البرتقال في مقاطعة بَلَنسية لا تزال تسقى بالأقنية نفسها التي أنشأها العرب منذ ألف سنة. كما قام العرب في هذه البلاد هيئة من أغرب الهيئات القضائية وأقدمها، تنحصر مهمتها في معالجة مشاكل الري في منطقة أندلسية بذاتها، هي منطقة الحدائق والحقول اليانعة. أطلقوا على هذه الهيئة محكمة المياه. ومما يؤيد أصل المحكمة العربي بعض أوضاعها ونظامها الحالية، فهي مثلا تنعقد كل يوم خميس ِعند الظهر، وفي بهو صغير مِستدير يقع وراء باب الرسل، وهو الباب الخلفي لكنيسة بَلَنسية، وهذا شأنها منذ سقوط بَلَنسية، وتفسير ذلك أن محكمة المياه كانت تنعقد أيام الحكم الإسلامي بالمسجد الجامع كباقي الهيئات القضائية الأخرى.

ويعترف القانون الإسباني بوجود وشرعية محاكم الماء في مظاهرها القانونية والجنائية سواء في المخالفات طبق القانون الإيجابي أو التي ينظر فيها وفق أحكام العرف.

وتتألف المحكمة من ثمانية قضاة يشترط فيهم أن يكونوا من المباشرين لأعمال الزراعة لا ملاكاً فقط. وممن اشتهروا بالنزاهة والمروءة والاستقامة جميعا، ويرأس الهيئة أكبر الأعضاء سناً. ولهذه المحكمة شهرة واسعة، حتى إن الناس يحتشدون لمشاهدة أعضائها وهم يتجهون نحو مقر اجتماعهم، وقد سار أمامهم رجل يحمل عاليا شعاراً براقا يشبه في شكله منجل حصاد – رمز المحكمة الذي يوضع إلى جانب الأعضاء عندما يعقدون جلساتهم وينظرون في الخلافات.

هكذا كانت بَلَنسية الجميلة اليانعة في إسبانيا والتي تحولت بعد خروج العرب إلى أرض

جرداء يابسة ومظلمة، فخيم البؤس والشقاء والوحشة بسبب خلو الأراضي والقرى المجاورة لها من السكان. وقد وصفها أحد المؤرخين الإسبان بأنها أصبحت كئيبة وأرضها يابسة وزراعتها معطلة بعد طرد عدد كبير من أسر الموريسكيين.

ينسب إليها جماعة وافرة من أهل العلم بكل فن، وأشاد العديد من الشعراء بقصورها وحقولها وحدائقها النضرة وبحيرتها الرائعة الجمال.

قال أبو الحسن بن حريق المرسي:

بلنسية نهاية كل حسن ... حديث صَحَّ في شرق وغرب

فإن قالوا: محلُّ غلاء سعر ... ومسقط دمنَتَيَّ طعنٍ وضرب

فقل: هي جنة حفّت رُباها ... بمكروهين من جوع وحرب

وقال ابن السُّمَيْسر:

بلنسية بلدة جنة ... وفيها عيوب متى تُختبرْ

ويضيق بنِا المقام إن نحن أسهبنا في رواية الأوصاف التي أغدقها الأدباء شعراً ونثراً على مدينة بَلَنسية، إذ كانت عندهم مدينة الزهر العطر والخضرة اليانعة والفواكه اللذيذة. وكتب عنها المستشرق الإسباني الشهير "هويسي ميراندا" كتابا ضخما في ثلاث مجلدات كبيرة تشغل نحو ألف صفحة سماه "التاريخ الإسلامي لبَلَنسية وأحوازها" وقد صدر سنة 1970م.

بَلَنسية الحالية

مدينة إسبانية حديثة تنتمي إلى إحدى المقاطعات الثلاث التي تألفت منها المملكة القديمة، وتحد بمقاطعات: كاطلونيا وتُرْويل وكْوينكة والبَسيطي وأليكانطي، تبعد عن مدريد بـ 347 كلم وتبلغ مساحتها حوالي عشرة آلاف وسبعمائة من الكيلومتر المربعة، ويقارب سكان المدينة المليون نسمة، وتعتبر ثالث المدن الإسبانية المزدحمة بالسكان بعد مدريد وبرشلونة.

مدينة ذات شوارع واسعة متقاطعة في كل اتجاه، تقوم على جوانبها عمارات عالية وحدائق غناء ومقاهي وفنادق ومنشآت تجارية وصناعية وإدارية.

تشعر وأنت تتجول في شوارعها أو في مساحاتها الكبيرة بعبق ذلك الماضي العريق الذي يعود إلى مئات السنين والذي جسدته تلك الأمم والأجناس التي تعاقبت على المدينة في

تاريخها فطبعوها بطابعهم سواء في مجال العمران والمآثر التي شيدوها أو في العادات والتقاليد والأعياد والحفلات التي ما زالت راسخة في أذهان الإنسان البلنسي إلى اليوم فميزته عن باقي سكان إسبانيا. وما الحفلات والأعياد التي يقيمها خلال السنة إلا دليلا على اعتزازه بماضيه وأصالته وخوصا: "FALLAS DE VALENCIA" (حفلة يصنع فيها التماثيل من الكرطون وتحرق في المدينة بمناسبةِ عيد القديس يوسف) وتنطلق من أبراج "سيرانوس" وهو من المعالم الأثرية البارزة في بَلنسية، ونموذج للفن المعماري القوطي الفريد من نوعه في أوربا، وقد شيد في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي. وِكان قد تحول إلى سجن من سنة 1586م إلى 1888م. ويعد معلمة وطنية مهمة في بَلنسية وإسبانيا.

وككل مدينة إسبانية فإن أهم ما يميزها هو الكتدرائية العظيمة التي ما زالت تحتفظ بواجهتها الباروكية. وكانت تعقد بها أيام الخميس ومنذ ألف سنة "محكمة المياه" الشهيرة. ثم قصر العدالة الذي بني في عهد الملك الإسباني كارلوس الثالث وهو من المعالم المهمة في المدينة، وتشغله اليوم إدارة الجمارك ومعمل للسجائر.

إضافة إلى وجود قصور عديدة تحولت مع الزمان إلى منشآت عمومية مختلفة. ثم السوق المركزي الذي شيد سنة 1928م فوق مساحة تقدر بثمانية آلاف متر مربع. ويشتمل على ألف دكان ومحل لعرض وبيع السلع والمواد الاستهلاكية الأخرى ويليه سوق "كولون" وقد شيد بين سنتي 1914 و1916م وهو أقل أهمية من الأول.

أما جامعة بَلَنسية فقد تأسست في القرن السادس عشر، ولم تشرع في أداء رسالتها إلا في سنة 1830م وتتوفر على خزانة للكتب والمخطوطات تحتوي على آلاف المصادر والمراجع والمطبوعات والوثائق تتعلق بإسبانيا وأمريكا اللاتينية. ثم ساحة الثيران التي بنيت بين 1850 و1860م وتقوم على 384 عمود، وتتسع لسبعة عشر ألف متفرج. ويوجد بالمدينة قصر للفنون والعلوم وآخر للمؤتمرات. ومتحف للفنون الجميلة المعروف "بسان بيو الخامس" ويشتمل على لوحات لفنانين عالميين أمثال فان كوخ، وفلاسكيت، وموريجو، وغويا... إضافة كذلك إلى المتحف الوطني والمتحف العسكري ومتحف للألعاب ثم متحف الكاتب البليني "بلاسكو إيبانييت" ذو الشهرة العالمية والذي خلف قصصا وروايات في وصف الإقليم وعادات السكان وإبراز تاريخه منها: الجمال البليني "الكوخ" و"القصب والطين" و"سليلة الزفاف" و"بين أشجار البرتقال" و"الأرز والقارب". توفي سنة 1928م.

وبالمدينة جسور قديمة تحتها حدائق حديثة نسقت في أجمل صورة. وقد شيدت أغلب هذه الجسور في القرن السادس عشر والثامن عشر الميلادي، وتضفي على الأمكنة التي توجد بها روعة وجمالا وخصوصا جسر "سان خوسي" جهة الشرق، وجسر "سيترانوس" وجسر "ترينداد" وجسر "البحر" البارز بأقواسه الرائعة وسلمه الخارجي الجميل.

أما الميناء فقد لعب -وما يزال- دوراً نشيطا على البحر الأبيض المتوسط في تاريخ

الملاحـة الإسـبانية بحيث كـان من الأوائل الـذين ارتبطت إسـبانيا بـها مع العـالم الخـارجي، دون أن ننسى دوره أيام القراصنة والقرصنة، مع الجزائر والأتراك.

ولشدة اهتمام الإنسان البلينسي بالزهور والورود فقد تفنن في طريقة غرسها والعناية بها فزين بها الشوارع وواجهات المنازل وخصوصا القديمة منها وهو ما يلفت الزائر إلى هذه المدينـة. كمـا تفنـن في الطهي وتهيئ المأكولات ذات الطـابع المحلي وخصوصـا ما تعلق منها بالأرز. وكيف ننسـى الأكلة الشهيرة التي ميزت هذه المدينة في إسبانيا وأوربا وهي: "LA PAELLA" (لَابـايـيَا) المكونة من الأرز وسمك القمرون وأجزاء من اللحم والكبد والثوم والفلفل الأخضـر... ثم البرتقال البلينسـي المشـهور في أوربا بمذاقه اللذيذ وقشـرته الرقيقة.

****

*) باحث وأكاديمي من المغرب.